

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإمام الشافعي

رضي الله عنه

ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ ، ورحل إلى الحجاز فتلقى علوم اللغة العربية وعلوم الدين . وحضر على الإمام مالك بن أنس بالمدينة . ثم سافر إلى بغداد سنة ١٨٤ هـ فأخذ عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، فاجتمع له علم أهل الحديث وعلم أهل الرأي ، فتصرف في ذلك حتى أصّل الأصول ، وقعد القواعد ، وأذعن له الموافق والمخالف ، واشتهر أمره ، وعلا ذكره ، وارتفع قدره حتى صار منه ما صار .

ثم دخل مصر سنة ١٩٩ هـ وأقام بها إلى أن اختاره الله إلى جواره في يوم ٢٩ رجب سنة ٢٠٤ هـ عن أربعة وخمسين عاما .

وحينما حل الشافعي بمصر ؛ كان أهلها على مذهب الإمام مالك . فأخذ الشافعي يناظر علماء المالكية ويناقشهم ، فأعجبوا بغزارة علمه ، وجودة فهمه ، وقوة حجته ، وسطوع برهانه وكثرة أدلته على صحة ما يقول ؛ فاجتمعوا حوله وانتفعوا بسعة معارفه في فهم معاني القرآن والحديث واللغة والشعر ؛ فطابت له الإقامة بينهم ، واتخذ مصر وطنا له ، وهكذا قضى بقية عمره مستقرا في وطنه الجديد ، مرتاحا إلى أهله ، سعيداً بهم .

قال الشافعي في مقدمة « الرسالة » « كل ما سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه كتاب ، وفيما كتبنا في كتابنا هذا ، من ذكر ما منّ الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة ؛ دليل على أن الحكمة : سنة رسول الله » .

وقال : « فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه ، قبل عن رسول الله سنته . ومن قبل عن رسول الله ، فمن الله قبيل » ، لما افترض الله من طاعته .

فهذه العقيدة مضي يؤيد السنة بحجج أفحمت مناظره ، وقطعت ألسنتهم ، فلا عجب أن لقبه معاصروه : « ناصر الحديث » .

قال الفخر الرازي في مناقب الشافعي « كانوا قبل الإمام الشافعي يتكلمون في مسائل أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة ، وفي كينية معارضتها وترجيحاتها . فاستنبط الشافعي علم أصول الفقه ، ووضع للمخلق قانونا كليا يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع . فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة أرسطاطاليس إلى علم العقل » .

وقال بدر الدين الزركشي في كتاب : البحر المحيط « الشافعي أول من صنف في أصول الفقه . صنف فيه كتاب الرسالة ، وكتاب أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وإبطال الاستحسان ، وكتاب جامع العلم ، وكتاب القياس » .

فكتاب الرسالة هو أول كتاب يؤلف في أصول الفقه ، بل وفي أصول الحديث . وقد ألفه الشافعي على غير مثال سبق ، وكل من جاء بعده فن بحره « انتهى » ، ومن علمه ارتوى : والمنهل العذب كثير الزحام . وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين .

محمد سيم كيراني

القاهرة في ٥ من ذي الحجة سنة ١٣٨٨
٢٢ من فبراير سنة ١٩٦٩